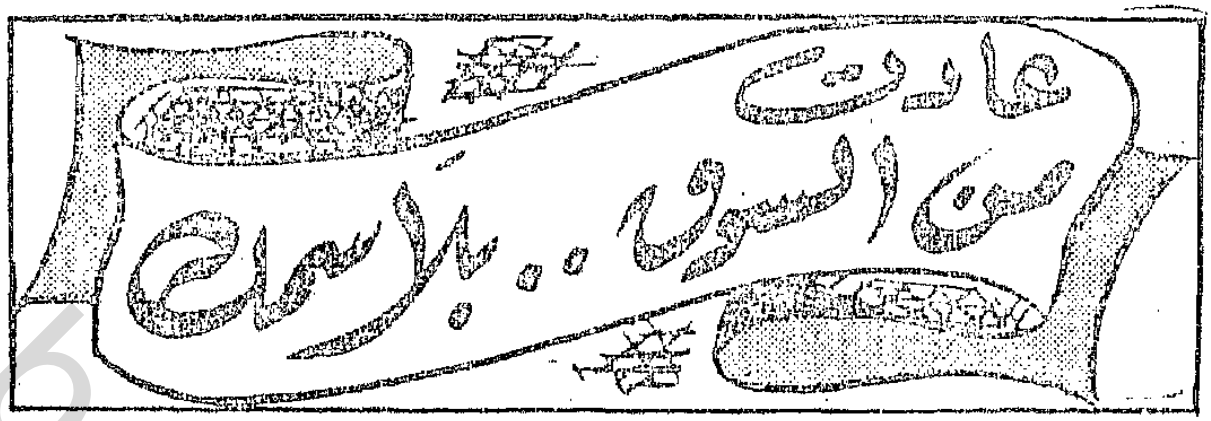

خرجت زينب من بيت أبيها، فى طريقها الى سوق السمك، غاضبة ..

كان لسانها يصرخ : انها لاتريد أن تتزوج . وقلبها يهمس : أنت كاذبة ، انك فقط لاتريدين هذا الزواج !

وهذا العناد كان يؤرق أمها ، ويعذب أباها ..

فقد رفضت شيخ البلد ، لانه رجل مسن ، ولم يحل عليه الحول ، حتى تزوج خيرا منها .

ورفضت عينا من أعيان القرية المجاورة ، لانه أعور ، وما هو الا علم آخر ، حتى أنجب الاعور من بنت العمدة ولدا له عيون كالفناجيل .

ورفضت خطيبها الثالث لانه فقير .

وهاهى ذى ترفض « جابر » خطيبها الرابع وترفض معه سبعة أفدنة ، وثلاث جواميس ، وشبابا ، وقوة ، وبيتا بلاحماة ، لان له ولدا من زوجة متوفاة .

وفى كل مرة كان أبوها وأمها يحسان فى قلبيهما طعنة سكين ، فيغضبان .

ولكن زينب كانت بنتهما الوحيدة ، فما هى الا ان تبكى ، حتى يستسلم لرغبتها الابوان .

كانت زينب تحلم بزوج خيالى .. زوج يضعها فى قصر مثل قصور الاساطير ، طوبة من فضة ، وأخرى من ذهب ، ويحوطها بالجوارى والعبيد ، ويحجبها عن الشمس ، ويحمى عينيها من

دخان الفرن ، وراسها من حمل الجرار ، وقدميها من ملمس الشوك والتراب .

والقصر مملوء بالمرايا والأرائك والعطور .

لكن هذا الزوج الخيالى لم يأت خلال خمسة أعوام ، وكل الذين رمتهم عليها رياح القدر العاكس كانوا بلا قصور .

ومع ذلك فقد كان كل شيء فى طريقها الى سوق السمك ، يهمس فى أذنيها بانها جميلة ، وانها جديرة بأكثر مما تصبو اليه .. من رنين خلخالها الفضى ، الى أنين النواعير ، الى تغريد العصافير .

وبدت زينب لنفسها كمحور تنجذب اليه أقدام الذاهبين من القرية الى السوق ، وخيل اليها ان الذين سبقوها فى الطريق كانوا يتباطأون عمدا حتى تلحق بهم ، وان الذين تأخروا عنها كانوا يقذون السير عمدا حتى يدركوها .

وحتى سنابل الحنطة خيل اليها ان أمواجها الذهبية تحت أكف النسيم العابر تلاحقها فى الطريق !.

وازدهتها كبرياء الشباب والحسن فنسيت غضبها وخطابها وأرخت أجفانها بدلال ، وتبسمت ضاحكة للدنيا ، والناس ، وسنابل القمح ، ثم استسلمت لفيوضة حلمها الجميل .

رأت نفسها فى قصرها الخيالى جالسة على أريكة من الحرير الاخضر محفوفة بزغب الحمام أجمل وأفخم من الاريكة التى تجلس عليها امرأة العمدة ، وتتقبل هدايا القرويات من السمن والبيض والدجاج .

ورأت زوجها وسيدها جالسا بجوارها على الاريكة الحريرية ، يلقمها حبات العنب ، وتلقمه ثمار العناب .

ورأت امرأة العمدة وقد استحال وجهها الجميل الى وجه قرد ، ووقفت بين جواريها خاشعة تقدم لها قلة الماء ! .

وخيل لها كأن زوجها وسيدها يقول لها : « تمنى على الشمس ، تمنى على القمر ، فيكون لك فى غمضة العين كل ماتشائين »

واخذت تفكر فى أمنية ، انها لاتريد الشمس ، ولا تريد القمر ،

ولكنها تتمنى ان تلد بقرة أبيها العاصية عجلين فى بطن واحد ! !

ولكنها قبل أن تنطق ، احست بصدمة أيقظتها من حلمها اللذيذ ، فأفاقت من حلمها على ذراع رجل تختلمها من مكانها بقوة ، وتحول بينها وبين سيارة اوشكت ان تدهسها فى السوق .

وكانت ضبابة الحلم لاتزال فى أعقابها ، فابتسمت لمنقذها ابتسامة أميرة الى عبد ، وتنهدت تنهدا طويلا مثقلا بخمار كخمار الكأس ثم ألفت نفسها فى وسط السوق .

كانت سوق السمك تعج بقصادها ، وقد علا فيها ضجيج المساومات ، وتبودلت ايمان الطلاق بين البائعة والمشترين كالمفرقعات ، ونودى فيها السمك بأجمل النعوت ، واقبح الاصوات

ووقفت زينب على أول بائع ، وكانت أمامه كومة من المز والشيلان يتخاطفها المشترون .

ولم يعجب المز والشيلان زينب فمطت شفتيها ، وهى تقلب السمك ، وقالت بصوت منخفض لم يسمعه غير البائع :

« بلا قرف ! »

ونظر اليها السمك نظرة صارمة ، لم تلبث ان استرخت واستحالت الى ابتسامة عندما رأى من يخاطب ، وقال لها :

« السوق أمامك واسعة يا ست البنات ! »

وكان البائع الثانى امرأة سليطة مشاكسة تضرب يد المشترى بقسوة عندما يحاول ان يصطفى الكبار من أسماكها ويترك الصغار .. وكانت كل بضاعتها قراميط .. لاتزال حية ينساب بعضها بين بعض ، ويتلوى كأنما يبحث عن مخرج الى الماء .

وتلكأت زينب .. هل تشترى قراميط ؟

ان أباها يحب القراميط المسلوقة ، وأمها تصنع من حسائها ثريدا شهيا ، ولكنها هى ... لاتحب القراميط !

ووقفت حائرة مترددة حينا من الزمن تتلهى بالضحك من نكات البائعة القذرة ، ودفاعها المجيد عن الاسماك الصغار .

واستلفت نظرها أخيرا قفص ممتلىء بسمك البورى عند بائع مجاور ، فاندفعت اليه وتركت بائعه القراميط .

ولكن عبور البورى لم تكن تلمع كما ينبغى ، ولا كانت خياشيمها وردية المون شأن السمك الطرى ، ولحمها لم يكن متماسكا تماسك اللحم الطيب ، فقالت زينب لنفسها . — « ما أشد غفلة هؤلاء المشترين .. انهم عندما يصلون الى بيوتهم يكون البورى قد أصبح جيفة ! »

وتولت عن بائع البورى الى سواه .

ولم تجد عند البائع الرابع الا فضلات زعمت زينب انها لا تصلح لغير الكلاب .

وعادت زينب آسفة لبائع البورى فوجدته يطوى مفارشه الخالية فى الاقفاص الفوارغ .

وأسلمت أمرها لله وقالت اشترى قراميط ولكن بائعة القراميط كانت هى الاخرى تحسب دخلها بعد ان فرغت بضاعتها على أيدى المشترين .

والفضلات التى زعمتها زينب لا تصلح لغير الكلاب ، وجدت أفنديا محترما قد حمل آخر ما بقى منها على الحصير !

واستنكفت ان تعود الى بائع المز والشيلان .

وخرجت زينب من السوق بلا سمك ، فضحكت لاول وهلة ، ثم بدا لها فعبست ، وأحست ان قلبها يرزح تحت حجر طاحون .

وجلست تحت ظلة فى الطريق ، تفكر وتقارن بين سوق السمك ، وسوق الزواج .

هل يكون هذا هو حظها ونصيبها يتكلم ؟

وازعجها هذا الخاطر فهرولت الى سوق السمك تبحث عن بائع المز والشيلان .

ولكن السوق كانت موحشة مهجورة ، الا من بضعة كلاب ، تتعارك على الاشلاء الملقاة فى التراب .

وظلت وهى عائدة تفكر ، لا فى القصر الخيالى ، ولا فى الحشايا السندسية ، ولا فى بقرة ابيها العاصية ، وانما تفكر فى خطابها الذين طردتهم فى انتظار العريس الذى لا يجىء .

ولم تعد سنابل القمح تلاحقها فى الطريق !

وعندما عادت الى بيتها ، كانت مكدودة محطمة ، كأنها كانت تقتلع حطب القطن طول النهار .

وقالت لامها ، وكأنها تلفظ آخر أنفاسها . — لم أجد سمكا فى السوق !

ولم تقل أمها شيئا ، فقد كانت حزينة من مطلع النهار ، ولانها ضربت العجين الذى كان بين يديها بقوة ، فى جدار الماعون . ولم تحاول أن تجرح ابنتها بالفاتها الى رائحة السمك المشوى المتصعدة من فرن الجيران .

ومضت فترة صمت لم يقطعها الا دقات العجين بانتظام على جدار الماعون .. ثم تكلمت زينب فى النهاية فقالت : —

— أمى .. انى سأتزوجه !

وفغرت الام فاها ، ووقفت يداها ، وقالت : —

— من تتزوجين ؟

قالت : — جابر : . . لقد فكرت ، ووجدته فى النهاية رجلا طيبا .. وسيكون ابنه ابنى ..

أليس هذا ماكنتما أنت وأبى تقولان ؟

قالت الام ، وقد استأنفت عملها ؟

— هل تعلمين أين أبوك الان؟

قالت : — من أين لى ان أعلم؟

قالت : — انه مدعو لعقد قران جابر على بنت الحاج اسماعيل .

وصمتت زينب ، وأحست أكثر من ذى قبل بفداحة عودتها بلا سمك من السوق !

شهر في نيويورك

بقلم: أحمد أبو الفتح

استطاع مؤلف هذا الكتاب ان يقيم خمسة ايام مع الرفيق فيشنسكى وزير خارجية روسيا فى مسكن واحد ، ونمكن من معرفة ان سبعة اعشار سكان امريكا الصهيونية يمقتون الصهيونية ، وان ثلاثة ارباع الثروة فى الولايات المتحدة فى ايدى النساء ، وشاهد المكان الذى تعيش فيه النساء معيشة الرجال ، وقابل باتع السجق الذى رفض ان يبيع دكانه الحقير مقابل مايتين دولار .

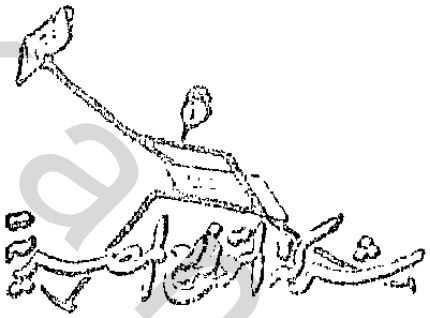

كتب للجميع

« كتب قيمة بقروش زهيدة »

صاحبة الامتياز: شركة التوزيع المصرية « ش.م.م »

عضو مجلس الإدارة المنتدب: السيد أبو النجا

رئيس التحرير المسئول: محمد فائق الجوهري المحامي

مدير الإدارة: أمين عدلى

الاشتراكات { ٦٠ فى السنة فى القطر المصرى والسودان
٨٠ فى الاقطار العربية الاخرى واتحاد البريد - ١١٠ فى اقطار الارض

الإدارة: ٨ شارع شريف مصطفى بالقاهرة - تليفون ٧٧٣١٩

طبعت بمطابع جريدة « المصرى »

obeikandl.com